الحروف والأدوات

أولا الحروف :

تاء القسم

حدث خلاف بين النحويين فى الجر بالتاء .

فذهب سيبويه إلى أنها لاتجر فى القسم ولا فى غيره إلا فى الله .

إذا قلت : تالله لأفعلن (١) ، ودخولها على غير لفظ الجلالة شاذ .

ووافقه فى ذلك : ابن أبى الربيع وابن مالك والرضى وابن الأنبارى وغيرهم(٢) .

وجوز بعضهم (٣) دخولها على لفظ (رب) مضافا إلى الكعبة أو إلى ياء المتكلم فيقال : ترب الكعبة وتربى لأفعلن .

ومنهم من حكى دخولها على : (الرحمن) و(حياتك) فيقال :(تالرحمن) و (تحياتك) وقالوا إن ذلك قليل أو نادر ، فنحن نرى أن ابن أبى الربيع يوافق سيبويه والجمهور فى اختصاص تاء القسم بالله تعالى .

وإنما كانت هذه التاء للقسم لأنها بدل من واو القسم نحو قولك : تالله لأخرجن ، والأصل : والله لأخرجن،قال تعالى: «والله لأكيدن أصنامكم» و « تالله تفتأ تذكر يوسف »(٤) .

---

(١) الكتاب : ٢٨/١ .

(٢) انظر الأشباه والنظائر ٢٤٨/١ والتسهيل ١٤٤ وشرح الكافية ٣٣٤/٢ والإنصاف المسألة ٢٧ ورصف المبانى ص١٧٢ وللسيوطى ٢٩/٢

(٣) المغنى ٩٨/١ والأسيوطى ٢٠٧/٢ .

(٤) الأنبياء ٥٧ ، يوسف ٨٥

وكانت هذه التاء بدلا من الواو دون الباء التى هى أصل فى حروف القسم لما يأتى :

١ — لأن التاء لا تدخل إلا فى إسم الله — تعالى — خاصة دون غيره من الأسماء المعظمة. بخلاف الباء فإنها تدخل على كل مقسم به ظاهراً كان أو مضمراً . أما الواو فتدخل على إسم الله وغيره من الظواهر دون المضمرات. ولهذه المشابهة كانت التاء قريبة من الواو مبدلة منها .

٢ — ولأنها أبدلت منها فى بعض المواضع مثل : اتعد واتزن واتعظ ، واتصف فى : ارتعد واوتزن ، واوتعظ ، واوتصف .

٣ — ولأنها — أى التاء — مفتوحة كالواو بخلاف الباء فهى مكسورة: فالتاء أقرب إلى الواو بهذا الشبه منها إلى الباء . لذلك كانت نائبة عنها ومبدلة منها .

رب

اختلف النحاة فى (رب) فذهب البصريون إلى أنها حرف(١)

وذهب الكوفيون إلى أنها اسم وأيد ذلك الرضى بحجة أنها فى التقليل والتكثير ، مثل كم الخبرية فى التكثير .

وهى جارة لما بعدها ، بشرط تصدرها نحو : رب رجل لقيته .

فلا تجر حشوا ، فلا يقال : لقيت رب رجل عالم . لأنها نقيضة كم الخبرية فى التكثير . فكما لزمت كم الخبرية الصدر لأنها تشبه الاستفهامية فى اللفظ ، لزمت (رب) الصدر لأنها ناقضت كم الخبرية فى إفادتها التقليل ، والعرب تحمل الشىء على النقيض كما تحمله على النظير .

---

(١) انظر فى (رب) رصف المبانى ص١٨٨ وما بعدها، ومعانى الحروف للرمانى ص ١٠٦ وابن يعيش والصاحبى ٨/١٨ والرضى ١/٣١٥ والتسهيل ص١٤٧ والهمع ٢/٢٧ والأشمونى ٢/٢١٨ والصبان ٢/٢٠٨ .

وبشرط — أيضاً — أن يكون مجرورها نكرة . لأن التقليل والتكثير لا يكونان إلا فى النكرات .

فإن جاء بعدها مايوهم أنه معرفة فهو جار مجرى النكرة فى عدم قصده وتعيينه . وقد تجر — على قلة — ضميراً مفرداً مذكراً مفسرا بنكرة منصوبة مطابقة للمعنى الذى يقصده المتكلم وإن كان المميز مثنى أو جمعاً أو مؤنثاً . فيقال : ربه رجلا وربه امرأة وربه رجالا .

وجوز الكوفيون مطابقته للتمييز فى التثنية والجمع والتأنيث قياساً وسماعا ورد ابن عصفور ذلك محتجا بأن العرب استغنت بتثنية التمييز وجمعه عن تثنية الضمير المجرور ، كما استغنوا بترك عن : وذر وودع ولكن ابن أبى الربيع يوافق ابن عصفور فى رده رأى الكوفيين . ويخالفه فى علة المنع ، فهو يرى أن العرب استغنوا عن الوصف بما دل عليه الإضمار من التفخيم فقولك : ربه رجلا بمنزلة قولك رب رجل عظيم لاأقدر على وصفه .

وأرى أن هذا التوجيه معقول ومقبول حيث إن دلالة الإضمار على التفخيم ظاهرة ظهوراً أغنى عن الوصف . فهو حين يذهب إلى رأى يقتنع به ، ويميل إليه، يوجه ويعلل، ولا يلقى الكلام غفلا دون توجيه أو تنظير.

لات

من الأدوات العاملة عمل ليس (لات)(١) .

واختلف فى حقيقتها .

فذهب سيبويه إلى أنها مركبة من : لا ، والتاء . كأنما .

---

(٢) انظر فى لات : وصف المبانى ص ٢٦٢ ومشكل القرآن ٢/٩٩ تأويل شكل القرآن ٥٢٩ والمفردات ٤٥٥ والهمع ١/١٢٦ والمقرب ١/١٠٥ والمغنى ١/١٨٧ ومنار السالك ١/١٤٨ والأشمونى ١/٢٥٧ .

وذهب الأخفش والجمهور إلى أن أصلها : لا ، زيدت التاء عليها لتأنيث الكلمة كما زيدت على ثم ورب فقيل : ثمت ، وربت ، وقيل أن زيادتها للمبالغة فى النفى كما فى : علامة ونسابة .

وذهب أبو عبيدة وابن الطراوه إلا أنها لا النافية والتاء زيدت فى أول الحين بعدها .

وذهب أبو ذر الخشنى إلى أنها فعل ماضى بمعنى نقص . من قوله تعالى: (لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) فإنه يقال : ألت يالت .

وذهب ابن أبى الربيع(١) إلى أن الاصل فى (لات) ليس أبدلت سينها تاء كما فى ست ، ثم قلبت الياء ألفاً لان الاصل فى ليس لاس لأنها فعل ، ولكنهم كرهوا أن يقولوا ليت فيصير لفظها لفظ التمنى ولم يفعل هذا إلا مع الحين ، كما أن لدن لم تشبه نونها بالتنوين إلا مع غدوة .

ولكنى أرى أن ابن أبى الربيع وإن حاول التنظير والحمل على النظير فرأى الاخفش والجمهور أقوى ، لأنها عملت عمل لا النافية العاملة عمل ليس، وزيادة التاء لا يؤثر فى عملها . كما أن اختصاصها بالعمل فى الحين ومرادفه يقوى حرفيتها ، وتحريك التاء الزائدة يؤكد الحرفية ويدعمها ، لان التى تلحق الفعل ساكنة ، وليست متحركة ، فرأى ابن أبى الزبيع ضعف لذلك ولوجهين آخرين :

الاول : أن فيه جمعاً بين إعلالين وذلك مرفوض فى كلامهم . وإن كان الصبان(٢) قدرد بأنه قدحدث جمع بين أكثر من إعلالين كما فى قضايا وخطايا.

الثانى : أن قلب الياء الساكنة ألفاً ، وقلب السين تاء شاذان لا يقدم عليهما إلا بدليل ، ولا دليل يسوغ قلب الياء ألفاً والسين تاء .

---

(١) الهمع ١/١٢٦ والنكت لحسان ص٢٧٥

(٢) الأشمونى والصبان ١/٢٥٧

« اللام الفارقة »

إذا خففت (إن) المكسورة الهمزة المشددة النون قل عملها وبطل اختصاصها بالجملة الابتدائية ، والغالب اهمالها .

وإذا أهملت لزمت اللام فى ثانى الجزأين بعدها فرقا بينها وبين إن النافية لالتباسها بها نحو : إن زيد لقائم .

وقد اختلف فى هذه اللام الفارقة .

فذهب سيبويه والاخفش الاوسط والصغير وأكثر نحاة بغداد وابن عصفور وابن هشام إلى أنها لام الابتداء التى تدخل مع المشددة . وقد أفادت — مع إفادتها توكيد النسبة وتخليص المضارع للحال — الفرق بين (إن) المخففة من الثقيلة وإن النافية ولهذا لزمت .

وذهب أبو على الفارسى وأبو الفتح وابن أبى العالية والشلوبين إلى أنها لام أخرى اجتلبت للفرق . لأن لام الابتداء مؤخرة من تقديم ، وهذه اللام بخلافها إذ تدخل فى الجملة الفعلية بخلاف تلك . ولأن هذه اللام يعمل مابعدها فيما قبلها بخلاف تلك ولأنها تدخل على غير المبتدأ والخبر من الفاعل والمفعول بخلاف تلك .

وارتضى هذا الرأى ابن أبى الربيع مخالفا سيبويه وغيره من أئمة النحو ، مرجحا رأى غيرهم .

وبذلك نستطيع الحكم على ابن أبى الربيع بأنه يستعمل عقله ، ويميل

---

(١) انظر الكتاب ١/٤٦٣ والاصول ١/٢٨٠ ، ٢٨٧ والتوطئة ص٢١٨ والمغنى ١/١٧٦ والجامع الصغير ٦٧ والتسهيل ص٦٥ ومنار السالك ١/١٩٠ والمقرب ١/١١١ والهمع ١/١٤٢ والاشمونى والصبان ١/٢٧٨ .

إلى مايقتنع به مادامت العلة مقبولة ، والتوجيه سديدا ، وأن عارض الجمهور لأنه — كما قلنا — لا يقبل إلا ماقويت لديه حجته .

« لام المستغاث »

اختلف النحاة فى هذه اللام(١) .

فذهب المبرد وابن خروف وأبو حيان إلى زيادتها ، بدليل إسقاطها ، وذهب الجمهور إلى أنها غير زائدة فهى لام الجر . وهو الأصح . ولكنهم إختلفوا فى متعلقها .

فقال ابن جنى أنها متعلقة بحرف النداء لما فيه من معنى الفعل .

وذهب سيبويه إلى أنها معلقة بفعل النداء المحذوف ، واختاره ابن الضائع وابن عصفور ، واعترض على هذا الرأى بأن الفعل المحذوف يتعدى بنفسه لا بالحروف .

ولكن ابن أبى الربيع(٢) يخالف الجميع ويذهب إلى أنها متعلقة بفعل النداء المحذوف المضمن معنى الالتجاء فى نحو : ياللدواهى . فاللام بمعنى من التعليلية . وبذلك يتجلى لنا استقلال ابن أبى الربيع بالرأى حين يقتنع به .

ولا يضيره مخالفة غيره وأن كان المخالف إماماً ، وصاحب الرأى الآخر ثبتا وشيخا .

وزعم الكوفيون أن لام المستغاث بقية اسم ، وهو يا آل . والأصل ياآل زيد فحذفت همزة آل للتخفيف ، وإحدى الالفين لالتقاء الساكنين . واستدلوا بقول الشاعر :

---

(١) انظر فى هذه اللام : وصف المبانى ٢١٩ والتسهيل ١٨٤ والمغنى ١٦٨/١ والهمع ١٨٠/١ والتبيان للشيخ الضبع ١٤٦ والاشمونى ١٦٤/٣٠ .

(٢) انظر المغنى وحاشية الامير ١٦٨/١ ، ١٦٩ .

فخير نحن عنـــد الناس منكم إذا الداعى المثوب قال يالا

وأجيب بأن الأصل : ياقوم فرارا ولا نفر . فحذف مايعد لا النافية كما يقال : ألا تا . فيقال : ألا فا . يريدون ألا تفعلوا وألا فافعلوا .

فقد رأيت أن أبى الربيع خالف النحاة جميعهم . فهو يوافق البصريين حين يكون الحق معهم .

ويوافق الكوفيين إذا كان الصواب فى مسلكهم ، والقياس يدعم رأيهم ويخالفهما معاً إذا لم ترجحه العلة أو يقنعه الدليل . كما حدث فى مسلكه فى هذه اللام التى نحن نتحدث فيها .

لـــكن

ترد (لكن) فى الاستعمال على ثلاثة أوجه :

١ — أن تكون حرف ابتداء يستأنف الكلام بعدها كإنما وليتما وذلك إذا دخلت على الجملة .

٢ — أن تكون للعطف والاستدراك وذلك إذا لم تدخل عليها الواو وكانت بعد النفى وهى بذلك تعطف مفردا على مفرد مثله مثل : ماجاء على لكن خالد .

٣ — أن تكون لمجرد الاستدراك وذلك إذا دخلت عليها الواو نحو قوله تعالى : « ولكن كانوا هم الظالمين » .

ولكن ابن أبى الربيع يرى أنها فى هذا الموضع عطفت جملة على جملة ووافقه فى ذلك ابن عصفور ، إلا أنه يذهب إلى زيادة الواو .

---

(١) انظر فى لكن صف المبانى ص ٢٧٤ والانصاف فى المسألة ٦٨ وشرح المفصل ١٠٦/٨ والهمع ١٣٨/٢ والمغنى ٢٠٨/١ والمقرب ٣٢٣/١ الاشمونى ٩١/٢ ، ١١٠ .

ويرى ابن مالك أن الواو هى العاطفة ، ولكنها عطفت جملة حذف بعضها على جملة صرح بجميعها ، والتقدير عنده فى نحو ماقام زيد ولكن عمرو ، ولكن قام عمرو ، وفى . ولكن رسول الله . ولكن كان رسول الله .

ليـــت

من المقرر فى قواعد النحو أن ليت حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالباً ، ويعمل عمل إن فى احتياجه إلى اسم منصوب وخبر مرفوع مثل : ليت محمداً فاهم . وأما الكوفيون فينصبون به اسمين كما ينصبون بظن . وأنشدوا على على ذلك قول الشاعر :

ياليت أيام الصبا رواجعا

ورد بأن رواجعا يحتمل أن يكون حالا من أيام الصبا ، والعامل فيه ما فى ليت من معنى التمنى لأن الأحوال تعمل فيها المعانى التى فى الحروف .

الحكم إذا اتصلت بها ما الحرفية :

إذا اتصلت بها ما الحرفية بقيت على اختصاصها بالأسماء . فيجوز إعمالها وتكون ما — زائدة فتقول : ليتما زيداً قائم .

ويجوز إهمالها حملا على أخواتها فتقول : ليتما زيد قائم ، وتكون (ما) كافة عن العمل ولكن ابن أبى الربيع أجاز دخولها على الأفعال ، ووافقه على ذلك طاهر الفزوينى فيقال : ليتما قام زيد ، كما تقـــول : ليتما زيد قائم .

---

(١) انظر فى ليت — رصف المبانى ٢٩٨ وابن يعيش ٨٤/٨ والرضى ٣٤٦/١ والمقرب ١١٠/١ والمغنى ٤/١ ٢ والتسهيل ص٦١ والهمع ١٤٣/١ والشذور ٢٨١ والأشمونى ٢٨٣/١ .

ما النافية العاملة عمل ليس

القياس فى ما النافية(١) أن لا تعمل . ولها شبهان :

شبه عام ، وشبه خاص .

أما العام فهو شبهها بالحروف غير المختصة فى أنها تدخل على الأسماء وأما الشبه الخاص . فهو شبهها بليس فى دلالتها على النفى ، ودخولها على المبتدأ والخبر .

وترتب على هذين الشبهين اختلاف الحجازيين والتميميين .

فالتميميون أهملوها لأنهم راعوا الشبه العام .

والحجازيون أعملوها لأنهم راعوا الشبه الخاص .

فهى عاملة عمل ليس عند الحجازيين والبصريين ، غير عاملة عند التميميين .

وبأتى ابن أبى الربيع يناقش هذه المسألة فيوجه ويعلل ، ويقيس وينظر . فيقول : « إن ما النافية ليس لها اختصاص فيجب أن لا تعمل .

ولذلك لم يعملها بنو تميم ، فهى عندهم على القياس ، فلا سؤال فى كونها لم تعمل لأن الشىء إذا جاء على قياسه وقانونه لا يسأل عنه ، وأما أهل الحجاز فأعملوها لشبهها بليس(٢) » .

ثم يقول بعد ذلك موجها ومعللا لعملها عمل ليس عند الحجازيين « إنما لم تعمل (ما) عمل ليس مطلقا بل بالشروط المعروفة ، لأن (ما) مشبهة

---

(١) انظر فيها الكتاب ١/٢٨ والأصول ١/٢٧ ومعانى الحروف للرمانى ص ٨٨ ورصف المبانى ٣١٠ والمقرب ١/١٠٢ والمغنى ٢/٦ ومنار المسالك ١ / ١٤٢ والتوطئة ١٦٧ والأشباه والنظائر ١ / ٢٤٢ والأشمونى والصبان ٢ / ٢٤٧ .

(٢) الأشباه ١/٢٤١ — ٢٤٢ .

بليس ، وليس مشبهة بالفعل وكل ماهو مشبه بالفعل لا يعمل مختصا » . ثم ينظر لذلك فيقول : « ألا ترى أن تاء القسم اختصت باسم الله وإن كانت بدلا من الواو ، والواو تخفض فى القسم كل ظاهر ، وإنما كان الاختصاص باسم الله فى التاء لأنها مبدلة من الواو ، والواو بدل من التاء فهى فى الدرجة الثالثة فلذلك اختصت » .

فابن أبى الربيع يركز على القياس ويجعله الأساس ويميل إليه ، لأن الشىء إذا جاء على أصله لا يسأل عنه . ومع ذلك علل لإعمالها عند الحجازيين . فهو — كما قررنا — يقف فى جانب الحق ويعضده ، ويؤيد الصواب ويؤكده .

من . فى أسلوب التعجب السماعى

من أساليب التعجب السماعية قولهم : لله درك من رجل .

وقد تكلم النحويون فى (من) فى هذا الأسلوب .

فذهب سيبويه والمبرد إلى أنها للتوكيد(١) . ودخولها هنا كدخولها فى (كم) توكيدا ...

وذهب ابن السراج(٢) إلى أنها فى مثل هذا لإزالة التباس التمييز بالحال . لأنها لو لم تدخل على التمييز لالتبس بالحال . فأدخلت (من) لتخلصه للتمييز . إلا أن ابن أبى الربيع يخالف سيبويه وابن السراج معاً . ويذهب إلى أنها للتبعيض(٣) والتقدير فى قولهم : لله درك من رجل . لقد عظمت من الرجال . فوضع المفرد موضع الجمع ، والنكرة موضع المعرفة للعلم وطلبا للاختصار — ثم قال — ونظير هذا قولك كل رجل يفعل هذا .

---

(١) الكتاب ١/٢٩٠ ، والمقتضب ٢/٣٥ .

(٢) الأصول لابن السراج ١/٢٧٤ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/٣٠ .

الأصل كل الرجال يفعل هذا . فاستخفوا فوضعوا المفرد موضع الجمع ، والنكرة موضع المعرفة لفهم المعنى وطلباً للاختصار .

وهكذا نرى أن ابن الربيع يتسع فى التعليل ، ويقيس الشىء على النظير دون تعسف أو تفريط .

من الزائدة :

شرط النحاة لزيادتها(١) أن تسبق بنفى أو شبهه ، وأن يكون مجرورها نكرة .

ولكن ابن أبى الربيع شرط شرطا ثالثاً وهو أن يكون مجرورها فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ نحو قوله تعالى : (ماجاءنا من بشير(٢)) وقوله : (هل تحس منهم من أحد)(٣) .

وقوله : (هل من خالق غير الله يرزقكم(٤)) وقد وافقه ابن هشام فى هذا الشرط(٥) .

وقد أهمل أكثر النحويين هذا الشرط وعليه يلزمهم زيادتها فى الخبر والجار والتمييز المنفيات مع أنهم لا يجيزون ذلك .

فإذا شرط ابن أبى الربيع هذا الشرط . فحجته فى ذلك الاستعمال وبخاصة إذا كان ذلك وارداً فى أفصح الكلم وأبلغه وهو القرآن الكريم فلا ضير عليه فى هذا التحفظ القائم على فهم أساليب اللغة وتنوع استعمالاتها .

للبحث بقية

---

(١) الهمع ٢/٣٥ .
(٢) الآية فى سورة .
(٣) الآية ٩٨ فى سورة مريم .
(٥) الآية ٣ فى سورة فاطر .
(٥) المغنى ٢/١٥ والهمع ٢/٣٥ .